الأسطورة – المفهوم والأنواع-

الطالبة منصوري سميرة
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس

وجد الإنسان المعاصر نفسه يواجه الحياة بنفس الوتيرة التي عاشها الإنسان البدائي، فبدت له الحياة لغزا كبيرا وسرا رهيبا، وعند ذلك أحس بحاجته الماسة إلى الأسطورة لوضع معادلة جديدة تجعل حياته مقبولة ومفهومة، فيفهم الوجود ويجيب عن تساؤلاته، ويحق لنا في هذا المقام أن نتساءل عن معنى الأسطورة، بالرجوع إلى أصلها الاشتقاقي، والبحث عن علاقتها بكلمات قريبة منها. فما مفهوم الأسطورة؟ وماهي أنواعها؟

مفهوم الأسطورة بين اللغة والإصطلاح:

لغة : الأسطورة في اللغة العربية هي : «كلمة مشتقة من مادة أسطر أي سطور يسطر سطرا والجمع أسطار، وجمع الجمع أساطير» [1]، ومفردة اساطير أسطورة على وزن فعولة.

كما جاء في لسان العرب لابن منظور : «وواحد الأساطير أسطورة والأساطير والأباطيل، ويقال للرجل إذا أخطأ أسطر فلان اليوم وهو الإسطار بمعنى الإخطاء، وقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير» [2]. والأسطورة بهذا

---

[1] أبو بكر الرازي، قاموس الصحاح، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990، ص197.

[2] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب مادة سطر، دار صادر، بيروت، ج4، ط1، 1990، ص363-364.

المعنى تعني الكلام الذي يعتمد أساسا على عنصر الخيال وعدم الصحة أي الأحاديث التي لا نظام لها والحكايات التي ليس لها أصل.

كما وردت كلمة الأسطورة أي الأساطير في القرآن الكريم تسع مرات في آيات كريمة من الذكر العزيز الحكيم، ومن بينها : **قال الله تعالى : «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ»** [1].

قال الله تعالى : « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » [2].

قال الله تعالى : « لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » [3].

وردت هذه الآيات القرآنية بصيغة الجمع ولم ترد بصيغة المفرد، فكان المقصود بها أن كلمة الأسطورة تعني الأباطيل والخرافات، كما كان معناها في القرآن الكريم الأكاذيب التي نسجها الخيال ورفضها العقل أي اقاويل وأحاديث لا أساس لها من المنطق والعقل.

اصطلاحا :

الأسطورة باعتبارها ظاهرة إنسانية ارتبطت بالوجود الإنساني ذاته، واكتسبت مدلولات تعكس درجة الفكر في كل مرحلة زمنية من مراحل الوجود البشري. «وكلمة أسطورة تشبه كلمة هستوريا

---

[1] سورة القلم، الآية 15.

[2] سورة الفرقان، الآية 05.

[3] سورة المؤمنون، الآية 53.

Hustoria اليونانية فهي في الأصل تدل على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ وقد تدل أيضا على ما كتبه الأقدمون أو ما تركون من روايات وحكايات وهي في الأغلب أحداث خارجة للعادة وأباطيل» [1].

أما في العصر الحديث فقد تحدد استعمالها وأصبحت تعني «الحكاية التي تختص بالآلهة وأفعالها ومغامراتها» [2]، معنى ذلك أن الأسطورة أخذت مفهوم الحكاية المرتبطة بالآلهة من خلال الأفعال والمغامرات، «وإذا كانت القصة أو الرواية أو المسرحية من الأجناس السردية التي تحاول تصوير الحقيقة رغم أنها تعتبر من الخيال المحض، فإن الأسطورة قد تفوقها لأنها تحاول أن تعكس هذه الرؤية الفنية ضمن تصوير ليس قائما على تقديم واقع في ثوب خيالي، دائما تقدم واقعا أسطوريا... أي أنها تحاول تحقيق المستحيل الذي يقصر العقل أن يصل إليه أو يصدقه أ يسلم به، فجمال الأسطورة أنها تقرب البعيد وتبعد القريب وتنفي الثابت وتثبت المنفي» [3].

والأسطورة بهذا المعنى قد تداخل مفهومها بالقصة أو الرواية أو التاريخ، فهذه الأنواع من الفنون تشترك ضمن الأجناس الإبداعية الفنية من عوامل مشتركة تتمثل في سرد أحداث ووصف

---

[1] طلال حرب، أولية النص – نظريات في النقد والأسطورة والأدب الشعبي –، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1999، ص92.

[2] عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط 1989، ص13.

[3] طلال حرب، أولية النص – نظرات في النقد والقصة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1999، ص92.

وقائع أغلبها من وحي خيال الإنسان بعيدا عما يحدث فعليا في الحياة سواء للأفراد أو المجتمعات.

2-أنواع الأسطورة :

ليست كل الأساطير تشير إلى موضوع واحد، أو تقصد هدفا واحدا، وعلى الغرم من اختلاف مواطن الأساطير وأزمنتها إلا أنه يمكن تصنيفها حسب موضوعها وغرضها، ووظيفتها الأساسية بغض النظر عن مصدرها، ولتصنيف الأساطير دورا كبيرا في فهمها وإدراك معانيها، ومن ذلك نتعرف على أنواع الأساطير ومنها :

1.الأسطورة التكوينية : وهي تصور لنا عملية خلق الكون، وما يميز هذا النوع أنها ترد في مفتاح الرواية وخاتمتها وترددها في نواقع مختلفة من السرد، كما نأخذ مثالا عن هذه الأسطورة تمثل في أسطورة « التكوين البابلية» التي تصور كيف خلق الإنسان والكون وأصله وتنظيمه» 1. وقد كانت هذه الأسطورة تغنى في اليوم الرابع من عيد رأس السنة» 2.

وأساطير الكون «معروفة في بلاد سومر منذ الألف الثالث قبل الميلاد هذه الأساطير تعكس ثقافة مجتمعنا والتي لها المكانة الأولى من

---

[1] فضيلة عبد الرحيم حسن، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار البازوي العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، د ط، 2009،ص32.

[2] ينظر : نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ط3، 1991، ص17 – 18.

حيث الأهمية والدلالة لأنها تبحث في أصل الكون ونشوئه وفلسفة الكائنات والخلق أي القصص الدينية التي تهدف إلى الإيضاح» 1.

وعلى هذا الأساس فإن الأساطير التكوينية بشكل عام تكونت من التأمل في ظواهر الكون والطبيعة وهي محاولة من الخيال لا تخلو من منطق لفهم العالم والظواهر والأحداث.

2.**الأسطورة الطقوسية** : «الأسطورة الطقوسية ترتبط بعملية العبادة وعينت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية، حيث يمتاز هذا الجزء بقوى سحرية خفية ليتمكن من استرجاع الموقف الذي يصفه» [2]، ويرد اصحاب هذه النظرية مجمل الأساطير إلى الطقوس التي كان الإنسان في المجتمعات الأولى يؤديها إلى قوى الطبيعة.

وقد رأى «جيمس فريز» «James Freze» الذي عالج علم الميثولوجيا الإغريقية بوصفها وجها من وجوه الديانة الإغريقية، وقال بتتبعه الأسطورة للطقس ونشوؤها عنه، إن ثمة اعتقادا كان شائعا في المجتمعات القديمة بأن هناك وسائل تمكنهم من إنقاذ شرور الطبيعة حولهم، وأنهم يستطيعون أن يدخلوا في سير الفصول أو يبطئوا منه بفن السحر، لذا قاموا ببعض المراسيم وقرأوا الرقي

---

[1] كريم صموئيل نوح، الأساطير السومرية، تر : يوسف داوود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، د ط، 1971، ص53.

[2] ميشال زيرافا، الأسطورة والرواية، تر : صبحي الحديد، مطبعة العلم، ط1، د.ت، ص6.

والتعاويد ليحثوا المطر على السقوط والشمس على الإشراق والحيوانات على التكاثر وفواكه الأرض على النمو 1.

وتعد اسطورة أوزيرس مثالا لهذا النوع حيث «تصف الكون والخلق وحياة الإنسان... إن أوزيس إلاه الخصب الذي يموت بانتهاء زمن الخصب ويحيا مع عودته ليقرر مصير الأرواح التي رحلت إلى عالم آخر، فالصلة هنا تكون مرتبطة مع طقوس التحنيط» 2. لذلك فالأساطير والطقوس تتبادل المواقع حيث تقف الأسطورة على المستوى الفكري بينما تقف الطقوس على المستوى العملي.

3.**الأسطورة الحضارية** : لتحديد معنى الأسطورة الحضارية لابد من معرفة المراحل الحضارية المختلفة التي مر بها الإنسان ابتداءا من العصر البدائي إلى أن اصطنع لحياته شكلا منظما ومرتبا ضمن العلاقات الاجتماعية والمادية «فالأسطورة الحضارية هي تلك العلاقة التي تكشف عن صراع الإنسان مع الحياة لإصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية» 3.

هذا ما وعاه الإنسان القديم، ومن ثم بدأ يفكر في وجوده على أساس هذا التعارض الثنائي والتلاحم في الوقت نفسه فالسماء

---

[1] ينظر، نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص15.

[2] فضيلة عبد الرحمن حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، مرجع سابق، ص35.

[3] نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق. ص19 – 20

مكان للآلهة والنور، والأرض مكان للإنسان والحيوان مصدر للعتمة، فمهمة الأسطورة أن تبرز هذا التعارض وتبين العلاقة الوثيقة بين هذه الثنائيات المتعارضة [1].

4.**الأسطورة الرمزية** : هي أساطير تختص بعالم الإنسان وليس بعالم الآلهة، وإن رموزها صادقة تحتمل أكثر من تفكير ألفت في مرحلة فكرية متطورة أكثر نضجا ورقيا، فالأساطير السومرية في بلادي وادي الرافدين أساطير رمزية لأنها لم تدون في تلك الفترات وظل امتدادها الفكري منتقلا طيلة عصور طويلة نظير صدق تغيرها وللترابط الوثيق بين الفكر الإنساني وواقعه الاجتماعي فإن اختراع الآلهة هو رمز للتعبير عن مكنونات النفس البشرية الذي كان بفعل التقديس [2].

ففي أسطورة «أدبا» يظهر الرمز في أقدم نموذج أدبي في العراق القديم، وأن الرمز تجسيد في الريح للدلالة عن القوة والسرعة فالريح هي القدر الذي يترصد الإنسان ويعاكسه [3]. وتنهض هذه النظرية الرمزية على أن الأساطير جميعها فعالية مجازية ورمزية تتضمن في داخلها حقائق تاريخية أو أدبية أو دينية أو فلسفية ولكن على شكل رموز تم استيعابها بمرور الزمن.

---

[1] ينظر : المرجع السابق، ص19 – 20.

[2] ينظر : بريتشارد جيمس، أساطير بابلية، تر : سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، العراق، د ط، 1972، ص39 – 49.

[3] فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، مرجع سابق، ص38.

خاتمة

وهكذا أصبح استلهام الأسطورة وتوظيفها يكل اتجاها واسعا وبارزا في الخطاب الروائي العربي المعاصر لكونها تشكل ظاهرة فريدة من نوعها في فننا العربي، جعلت هذا الفن متميزا عن التجارب الفنية السابقة، حيث صنعت لنفسها جماليات خاصة تتعلق بالشكل والمضمون، وفي بلوغها هذه الجمالية تأثرت بحساسية العصر وذوقه لإدراك الثقافة الإنسانية، وبعدها تحديد موقف الإنسان المعاصر منها، فظلت الأسطورة حية بالرغم من قدمها لتظهر دائما في إنتاج فني.